تجليات الجسد وانزياحه في شعر سركون بولص

د. محمود خليف خضير الحياني أ.م.د. عبد الرحمن محمد محمود

اللقب العلمي : استاذ مساعد اللقب العلمي استاذ مساعد

الجامعة التقنية الشمالية / العراق جامعة كركوك /

الكلية التقنية الادارية الموصل كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم تقنيات الادارة الالكترونية / قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني: emaf_1979@yahoo.com

رقم الموبايل : 07721300409 (+964)

تجليات الجسد وانزياحه في شعر سركون بولص

تاريخ الارسال :2020/11/16 :تاريخ القبول :.03/08م2021 تاريخ النشر.2021/12/20

ملخص :

إن اشتغالات بنية الجسد في الشعر العربي الحديث انطوت على معان ودلالات كثيرة ارتبطت بمظاهر اجتماعية، وسياسية ، وثقافية تبلورت حول الأقصاء ، والترويض ، والتحريم ، والنفي ، والفناء، والجنوسية ، والنجاسة، والرجز والى أخره من المعاني التي عملت على أذلال الجسد عبر التاريخ الطويل إلى أن جاء عصر الحداثة الذي غير وجهات النظر التي كانت سائد قبل هذا العصر . فتحول الجسد إلى حالة متطورة من العطاء الصناعي والجانب الترفيه والجمالي ، فهو يمثل رأس مالا جديدا يدخل في الإعلانات الترويجية ، وألعاب القوى التي تكونت على أساس تشكيل مضامين جديدة للجسد ، فالجسد ليس الفناء إنما هو الجمال ، والصحة ، والشباب ، فبه أمسكت ثقافة الحداثة بالزمن وروضته عن طريق تنشيط الجسد وإعطائه جرعات مستمرة من منشطات الحياة وغيرها من ثقافة الجسد الجديدة ، وبعيدا عن الثقافة والسياسة . فإن حضور الجسد في الشعر العربي الحديث لم يفارق حضوره النصي بوصفه مجازا ، واستعارة ، ورمزا ، ودلالة ، وعلى هذا الأساس المتطورة للتعامل مع الجسد سنعمل على مقاربة بنية الجسد وانزياحه في شعر الشاعر العراقي سركون بولص .

: Summary

The works of the structure of the body in modern Arabic poetry have many meanings and connotations associated with social, political

and cultural manifestations crystallized around exclusion, dressage, prohibition, exile, annihilation, homosexuality, impurity, mankind and other meanings that have humiliated the body throughout the long history. That came the age of modernity which changed the views that prevailed before this era. The body has become an advanced state of industrial giving and the luxury and aesthetic aspect. It represents a new capital that enters the promotional advertisements and athletics formed on the basis of forming new contents of the body. The body is not annihilation but beauty, health and youth. By revitalizing the body and giving it constant doses of life stimulants and other new body culture, away from culture and politics. The presence of the body in modern Arabic poetry did not leave his textual presence as a metaphor, metaphor, symbol, and indication, and on this evolving basis to deal with the body will work to approach the structure of the body and displacement in the .poet of the Iraqi poet Sargon Paulus

مفاتيح الكلمات

الجسد : The body , ، المجازية : Figuratively ,، الرمزية : Avatar , ، الاستعارية : Metaphor ، الدلالية: Semantic .

المبحث الأول

الجسد لغة واصطلاحا

لاشك أن البحث في القاموس أو المعاجم العربية القديمة التي تختزل الجسد على أساس معطيات اللسان العربي واستعماله لمعاني تداولية تبحث عن التميز ، والتفصيل في اطلاق الفاظ كثيرة عن الجسد ترتبط بالاختلاف ، والترادف ، ولكن من يطلع على لسان العرب يجد أنه يختزل لفظة الجسد لغة في كونها تدل على أن " الجسد : جسم الأنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المغذية ، ولا يقال لغير الأنسان جسد من خلق الأرض"[1]، فالخصوصية والتفرد التي ارتبطت بمدلول المعنى الحسي للجسد عند أبن منظور من حيث تركيزه على أن لفظة الجسد خاصة بالإنسان وحده يقابلها نوع من العمومية التي لا يمكن أن تحصر الجسد بجسم الأنسان فقط ، فإننا نجد عند الرازي الذي رأى يحمل معنى للجسد أوسع من حدود جسم الأنسان . فإنه قد يأتي للدلالة على الشكل أو الهيئة واللون في قوله . فالجسد يدل على معنى " الهيئة أو اللون ، والجسد أيضا الزعفران ونحوه من الصيغ وقوله(**أَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ**)(٨٨) ، فالمراد بالعجل . جسدا أحمر من ذهب "[2]،

فالتحول في المعنى عند أبن منظور من خصوصية الجسد المرتبطة بالإنسان حصرا إلى عمومية الجسد المرتبطة بالمعنى المجازي والعقلي إنما ينطلق من ما يمكن أن يمثله الجسد من إشارات رمزية دينية ، وفقهية يمكن الإفادة منه في المعنى العقلي الذي كان يمثل مشروع الرازي في فهمه للغة ومعانيها القرآنية ، وبعيدا عن المعاني الحسية والمجردة للجسد ، فإن اللسان العربي ، وتداولية السياق الذي يرتبط بالفصاحة والبلاغة التي لابد أن تكون حاضرة من حيث دقة الألفاظ ووضوحها وارتباطها بالشيء الذي تشير اليه . فإن لفظة الجسد قد تداخلت مع الفاظ أخرى في الحقل الدلالي والسيميائي الواحد الذي تنطلق منه في فهم ما يشي به من معاني ترادف أو تخالف دلالات الجسد ، ونظرا للتوسع اللغوي عند اللسان العربي فقد ترادفت كلمة الجسد مع كلمة الجسم والذي يمثل الشيء المدرك ، وتجانست دلاليا مع الفاظ عبرت عن أجزاء في الجسد مثل البدن والجثة ، فقد حاولت المعاجم والقواميس واللسان العربي أن يميز بين البدن والجسد في كون البدن يرتبط بالأجزاء العلية من الجسد ، فالجسد أوسع من البدن في كونه يمثل كل الجسد ، أما الجثة فإنها تمثل جسدا بدون روح .فالعلاقة ما بين الروح أو النفس والجسد تمثل علاقة تواشجية قامت في الفلسفة ، والدين ، والثقافة على أساس الغياب والحضور وهو ما سنتطرق اليه في المبحث الثاني .

أما تعريف الجسد اصطلاحا "فإنه لا يبتعد في المدونة العربية كثيرا عن المعنى الحسي أو اللغوي اذ أجمع معظم المفكرين والفلاسفة العرب القدامى على أن الجسد اصطلاحا يتمحور حول كونه جوهر قابل للأبعاد الثلاثة ، أو كل ما يشغل حيزا ، أو ما له حدود وأبعاد فيزيقية ، أو كل ما يمكن أدراكه بصريا"[3] .

ولكن هذا التحديد لعمومية الجسد وخصوصيته قد خالفتها الثقافة الغربية وتحديد ما قدمته من دلالات ارتبطت بالبعد الانطولوجي للكلمة في الفلسفة الغربية وتحديدا في بعدها اليوناني واللاتيني ، فعلى العموم فإن معنى الكلمة في اللاتينية واليونانية لم يبتعد عن وصف الجسد بأنه البنية الجسمية أو الكلية أو الإجمالية التي تعبر عن حضور الجزء المادي للكائن الحي بصورة عمومية ، فمن يعود إلى المدونة الغربية القديمة يجد أن كلمة الجسد تعبر عن الجسم بالعموم ، بدون أجزاء اشتقاقية أو مرادفات تتماهى مع الطرح اللغوي العربي .أما تعريفه عند الغرب فإنه يرتبط بالبعد الفلسفي المادي والمثالي ، فالمادية حددت الجسد بأنه الشيء الثابت والباقي في مكان معين ومدة زمنية محددة ، والمثالية عرفت الجسد بأنه شيء عقلي يستمد وجوده من الفضاء الحسي[4] .

المبحث الثاني

الجسد سيرورة وتاريخ

تكشف الآثار الاركيولوجية أن حضور الجسد في حضارات العالم القديمة ارتبط بجوانب أسطورية ، وجمالية ، وصحية ، ففي حضارة بلاد الرافدين القديمة قُدم الجسد بوصفه الميت ، والفاني ، والمتلاشي ، والغائب ، فالجسد يموت والروح خالدة باقية ، ولكن هذه الرؤية السلبية للجسد لم تمنع من أن ينظر اليه في هذه الحضارة على أنه يمثل

حضوره الدنيوي الذي يقوم على أساس احترام قوته الدنيوية من حيث الجسد السليم ذو الصحة ، والجمال ، فالجسد القوي له حضورا في الحروب، والألعاب الرياضية التي تقدس القوة وتبغض الضعف ، وما كشفته الآثار القديمة من حالات كثيرة يبرز من خلالها منحوتات للجسد تبرز فيها مفاتنه القوية والجميلة التي تركتها الحضارات البابلية ، والأشورية ، والسومرية ...الخ ، ولا يقتصر هذا الأمر على المنحوتات التي تبرز الجسد الفاتن أو القوي ، إنما يمكن أن يظهر في الأساطير التي عبرت عن معاني الخلود ، والفناء وما تمثله علاقة الجسد بالروح ، وليس ببعيد أسطورة كلكامش التي عبرت عن العلاقة بين الخلود والفناء ، ولا يتوقف هذا الأمر عند حضارة وادي الرافدين . فإن حضارة وادي النيل من اكثر الحضارات القديمة التي عبر عن علاقة الجسد بالروح وما يمثله الجسد من شيء فانٍ ، يخالف خلود الروح ، فكانت الطقوس الدينية ودور الكهنة في تحنيط الفراعنة حافظة على فكرة عدم فناء الجسد ، لأنه هناك حياة أخرى بعد الموت ويمكن أن يعود الفراعنة إلى قيد الحياة .وما كشفته الآثار من بقايا المومياء الفرعونية يؤكد قداسة الحياة التي تتمظهر لدى المصريين القدماء في حضور الجسد ، حتى إن هذه الاهتمام بالجسد انتقل إلى أساطير كثيرة لديهم عبرت عن حضور الجسد وخلوده مثل اله الحب ، والجنس ، والشهوة ايزيس وغيرها من الأساطير(5) .

وتمثل الحضارة اليونانية والإغريقية خير من عبر عن حضور الجسد بكل أشكاله التي تدل على القوة والجنس والأقدام ، فالمنحوتات القديمة عملت على بروز عضلات وقوة المحارب أو الملك اليوناني والإغريقي القديم . ولم تختزل هذه العناية بالجسد في الجانب الفني والمنحوتات الحجرية فقط . إنما تسرب إلى اللعاب القوة التي تحترم الجسد القوي في أثناء الألعاب الأولمبية وما تمثله من شغف وحب اليوناني والإغريق للفرجة على قوة الجسد المحارب في ساحات المصارعة التي كانت تقام في ذلك الوقت ، ولعل الاحتفالات الدونيسية وطقوسها التي تعبر عن العربدة ، والاستهتار ، والحرية الجسدية ، والجنسية ، مثل حافزا قويا عند اليونانيين القدماء في التعبير عن كونهم شعب قوي يحترم الجسد القوي ويبغض الضعفاء من الأفراد والشعوب ، فكان نسيج المخيل الشعبي وحكاياتها وأساطيرها تكشف عن الحروب والعظماء من الأمراء والملوك الذين كانت للقدر الإلهي ، والقوة الجسدي عونا لهم في حسم الحروب او التغلب على المخاطر والخصوم . فكانت أساطير الإلياذة ، والانياذة ، وطروادة ، واخيل ، وهيكتار ... الخ ما هي ألا صورة من صور التعظيم ، والتقديس ، لقوة الجسد(6) .

ولكن هذا الحضور للجسد في المدونة اليونان والإغريق القديم حدث فيه انتهاكا وتحولا عمل على الانتقال من حب القوة والجسد إلى حب الحكمة ، والعقل، والطبيعة ، فالفلاسفة الطبيعيين الذين حاولوا أن يعيدوا اصل الكون إلى الطبيعة من ماء ، وهواء ، ونار ، وتراب ، عملوا على تحويل الاهتمام من الجسد إلى العناية بأجسام الطبيعة ، فالخلل الذي سببته الفلسفات اليونانية القديمة ولاسيما الفلسفة الميتافيزيقية وحبها الزائد للحكمة والعقل ، يمكن أن نجده بوضوح في فلسفة سقراط وروحها العلمية التي مارست دورا كبيرا في تحويل الفلسفة ذات البعد و الأصل الواحد للطبيعة التي طرحها الفلاسفة الطبيعيين إلى البحث عن ثنائية الروح أو النفس ، والجسد ، أو كما طرح في مفاهيم فلسفية تقوم على ثنائية الصيرورة والكينونة ، اذ عبر سقراط عن مفهوم ميتافيزيقي يحترم النفس والروح ،

ويحتقر الجسد ؛ لأنه ادنى من الروح والنفس ، ولم يبتعد تلميذه الذي كان محاربا قويا أفلاطون عن ثنائية الجسد والروح معبرا عن أن الجسد هو صورة أو ظل للمثل التي تكون خارج الكهف . وإن العناية بالروح والنفس لابد أن تتطابق مع العناية بالتربية الرياضية والصحية للجسد السليم الذي يمكن أن يبني فيه جمهورية مثالية قائمة على حكمة الفلاسفة، وقوة الجسد وصحته[7] .

ولا يمكن لهذا الإرث الاورفي أو الأفلاطوني أن ينسجم مع الطرح الأرسطي الذي بحث عن الجانب الظاهر ، أو الدنيوي ، أو الوجود الحاضر في الطبيعة ، أو الجوهر الظاهر في العالم المحسوس ، وعلى هذا الأساس الحسي . فقد كان الجسد عند أرسطو عبارة عن موضوع فيزيقي يخضع للمنهج العلمي وتصنيفاته وتشريحاته المعرفية[8] .

لم يترك السجال والجدل بين عالم المثل والأحداث ، أو عالم الكينونة والصيرورة المجال أو الباب مفتوح على طرح جديد يبتعد عن هذه العلاقة الجدلية بين الكينونة والصيرورة في الفكرة الديني و اللاهوت المسيحي واليهودي في القرون الوسطى ، فلا يوجد جسد ألا جسد السيد المسيح ، وكل ما يمكن أن تعبر عنه صور الجسد هو خارج عن أطر الدين ، فالمرأة بجسدها خطيئة ونجس ، والزواج بعيدا عن المتعة واللذة هو في الحفاظ على النسل ، ولا يبتعد الفكر الديني اليهود عن الفكر الديني المسيح في أذلال الجسد وتحقيره ، والذي خالفهما الدين الإسلامي من حيث العمل على تغيب الجسد وعده مرتبة ادنى من النفس والروح ، فالمدونات الدينية ، والفقهية ، والشريعة عملت على تأصيل أبعاد أخلاقية ودينية تقوم على إخضاع الجسد لمبدأ الحلال والحرام من حيث النجاسة والطهارة ، وكيفية ترتيب و ترويض الغرائز ، والشهوة الجسدية بالحلال ، ولا شك أن ترويض الجسد في الإسلام القائم على أصل ديني وأخلاقي انتقل إلى الخطاب السياسي والأحكام السلطانية ودورها في البحث عن شروط الخلفاء والأمراء والقادة من حيث سلامة الجسد وصحته[9] .

ولكن هذا البعد الديني لتحقير وتغيب الجسد تم تجاوزه في الفلسفة الحديثة التي عملت على التفريق بين الجسد ، والنفس ، والجسم باحثة عن مظاهر اجتماعية جديدة ترتبط بالبحث عن حرية الجسد ، وصحته ، وجماله وقدرة العطاء ، و الاستهلاك التجاري ، فثقافة الجسد تحولت إلى رأس مال الجسد ، وما يمثله من ثقافة الحفاظ على بريقه وأطاله امد تضاريس الجسد الشاب والمفعم بالحياة ، فكل شيء أصبح في الوقت الحاضر يخضع لمتطلبات الجسد من حيث الأناقة والعطور والمكياج ، والتبرج ، والموضة ، والأزياء ، وعمليات التجميل ، وصحته ورشاقته ، وبرنامج إطعامه وحميته ، ومستلزمات التعبير الجسد و لغة الجسد ودورها العلمي في التحكم في الانطباع لدى الآخر و بوصفه مجسات تواصلية تنسجم مع الحضور الاجتماعي[10] .

وعلى أساس ثقافة الجسد التي دخلت في كل مجالات الحياة المختلف . فإن حضوره في النص الشعري الحديث ينبع من الأبعاد المجازية ، والرمزية ، والاستعارية ، والدلالية والتي سنقاربها في الفقرات الأتية .

المبحث الثالث

تشكيلات الجسد ومعانيه

(المجازية ، الرمزية ، الاستعارية ، الدلالية)

مدخل :

لابد من الإشارة إلى أن تقلبات معاني ودلالات الجسد في الشعر العربي الحديث اتخذ أشكال متنوعة ومختلفة من حيث الوسيلة والهدف الذي يحاول أن يعبر عنه النص ، واننا إذ اردنا أن نقارب الجسد في الشعر ، فإنه يكون عن طريق البحث في مضامينه المجازية ، والرمزية ، والاستعارية ، والدلالية التي تنبع من منطق اللغة ومقصديتها وما تريد الكشف عنه .

أ ـ مجازية الجسد :

لاشك أن مجازية الجسد لا تنطلق من الأدوات البلاغية القديمة من حيث المجاز العقلي والمجاز المرسل . إنما من المجاز الإشاري للغة الجسد التي لها منطقها البلاغي والتواصلي الخاص بها ، فهي الحيز الذي يعبر عن ذاته عن طريق التعبير الجسد والمعروف ، اجتماعيا ، وعرفيا ، وثقافيا ، ولكن الانزياح المجازي لهذا التعبير الجسد المرتبط بالعرف ، ، والثقافة ، والمجتمع يمكن أن ينتهك وينزاح في المنطق اللغوي الذي يحمل أبعادا مجازية تتجاوز اللغة إلى المجتمع والثقافة ففي قصيدة (**هناك رحلات**) للشاعر سركون بولص(*) فإنه يعبر عن الجسد عن طريق المجاز في قوله :

"هناك رحلات

اصل إلى وطني بعد أن عبرتُ

نهرا يهبط فيه المنجمّون بآلات فلكية صدئة

مفتشين عن النجوم

أو لا اصل إلى وطني

بعد أن عبرت نهرا لا يهبط فيه أحد

هناك رحلات

أعود منها ساهما

نحيلا كظل ابرة

التقي بالصباح وجها لوجه

كأنني تركت نفقا ورائي قبل لحظة" (11)

يدور الموضوع العام لهذه القصيدة حول الرحلة و الهجرة عن الوطن ، ولكن عنوان القصيدة (هناك رحلات) يختزل أبعادا مكانيا ونفسيا تنطوي على قدرة هذا العنوان في التعبير عن الحضور الظرفي المكاني لكلمة (هناك) التي ترتبط بعلاقة عضوية دلالية من مسيرة الرحلات ، وكأنّ الشاعر في هذا العنوان يكشف عن طريق كلمة (هناك) مكان غير محدد يمكن أن يصل اليه المهاجر و الرحالة ، ولعل كلمة (الرحلات) تتعاضد مع كلمة هناك الغير محددة المكان لكي تعبر عن حالة من صيرورة غير مكتملة للرحيل الدائم والمستمر والكثير، والذي يمكن أن نلاحظه في

حالة الجمع لكلمة (رحلات) ، وما ينطوي عليه العنوان من غموض للمكان المتوجه اليه الراحل (هناك) وديمومة الرحلة المستمرة بدون توقف لدلالة (رحلات) فإنها تعبر عن هاجس الرحلة القصرية، والتهجير ، والنفي ، والتشتت التي تعيشها الذات الشاعرة ، والتي يمكن أن تؤكدها العلاقة الجدلية بين عنوان القصيدة والمتن، فاستهلال القصيدة ومقدمتها التي يمكن أن نقطّعها إلى متواليات دلالية تعبر عن مفارقة درامية بين الوصول إلى وطن جديد ، أو عدم الوصول إلى وطن جديد ، ولكن في كل الأحول. فإن الوصول إلى الوطن الجديد هو يمثل انتكاسة نفسية تختزل حالة من الغربة والضياع والتي تشي بها الصورة المجازية لوضعية الجسد(**أعود منها ساهما ، نحيلا كظل ابرة**) ، أن تصوير الجسد في القصيدة بوصفه (**نحيلا**) وهو تعبير مجازي عن المرض ، والتعب ، والضياع ، والغربة ، والهم ، فلنحول ليس تعبير عن الجوع والعطش وإنما هو تعبير عن حالة نفسية تعيشها الذات الشاعرة وهي تجد نفسها في ترحال دائم بدون هدف و نهاية ، فالنحول هو بلاغة تعبر عن فقدان الأمل بالمستقبل وعدم الوصول إلى نهاية واضحة ، وهذا التعبير هو بمثابة اعلان واضح من الشاعر بأنه خرج قصرا و نفيا من وطنه ،مما أدى إلى أن يعمل الوطن والترحال على نحولة جسده و انهاكه بتقيد حرياته بكل صورها المادية والمعنوية، فإن تعبير الجسد في الغربة ، ولاسيما بالنسبة للذات الشاعر يأخذ أبعادا أخرى ترتبط بمدلول بلاغي مجازي يعبر عن الشهوة والايروسية ، فالحرية الايروسية في الغربة هي بمثابة تمرد على تابوهات الجسد وتقيده في المجتمع الشرقي . ففي قصيدة (**سردين**) يقول الشاعر :

"سردين

فتقبل ، بعد تردد ، أنْ.

ودون احتفال ، بصمت متبادل ، نترك لجسدينا أن يتبرعما

بسهولة قرب كل انفتاحه في ذكرى الأشجار ، الولادات

الناقصة ، وبستان الشيرازي . نترك جسدينا وحدهما .

نتركهما بتياريهما من النبضات التي استيقظت متشابكة ،

بخمول ، كأسطولين من السردين الجائع " (12) .

تحمل كلمة سردين التي تمثل عنوان هذه القصيدة دلالات اجتماعية وثقافية وحتى جنسية وشهوانية ، فالسردين هو نوع من أنواع السمك التي تتمتع بقوة لكونها تعيش في المحيطات وذات حضور اجتماعي كبير بوصفه نوعا محببا من الأطعمة التي لها رواج كبيرا في أسواق الأطعمة السمكية الجاهزة أو المعلبة ، ولكن ما يمكن أن تنطوي عليه دلالة السردين في هذا النص الشعري هو ما يتصف به من دلالات جسدية تعبر عن لونه وملمسه الرقيق مع القوة الشهوانية التي يرمز لها من القوة والطاقة التي يمكن أن يوفرها للجسد ، فلغة الجسد في هذا النص تتحول إلى رغبة جامحة تبحث عن الحرية التي تنطوي عليها لعبته ومنطقه من حيث (**نترك لجسدينا أن يتبرعما**) و(**نترك جسدينا وحدهما**) فالجملة المجازية لترك الجسد تحمل لغة واحدة تعبر عن عمق الفعل الايروسي وحالة الحميمية التي هي تعبير طبيعي

عن لغة الجسد في حالة اطلاق الحرية المختزلة في لغته وفعله الشهواني ، فالسياق العام للغة الجسد في هذا النص هو البحث عن الحالة البهيمية للغة الجسد التي تعبر عن الحرية بكل صورها الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية ؛ لأن تقيد الجسد في البلاد العربية هو فعل سياسي تجلى في محاولة السلطة أن تتدخل في كل حرية وحركة الجسد التي يمكن أن يعبر عنها .

ب ـ رمزية الجسد :

تشير رمزية الجسد إلى مفاهيم ومعان ترتبط رمزيا بالجسد كالرغبة، والحياة ، والموت ، ،والروح ، والغرائز ، والنجاسة ، والطهارة ، والضعف، والقوة ..الخ ، فكل شيء ينتمي إلى علاقة الروح والجسد و الموت والحياة ، والوعي واللاوعي ، والشعور ، وللاشعور يحاول الجسد أن يشكل رموزا منها في التعبير تمثل بوابة للغته التي يكثف عن طريقها ويختزل ما يحاول الإشارة اليه ففي قصيدة (**بلمسة واحدة كنت تقهريني**) يقول الشاعر :

"بلمسة واحدة كنت تقهريني

في هذا المكان

تحلم المرأة بأجنة مفقودة

توقظها بالبكاء الخافت في الكهوف

تحلب قلب الرجل من حروبه الطويلة

وعلى فتحاتها حيث النشوة تتجمد

كنغمة مستحيلة تطفو بصمتها على ثقوب ناي

تسيل لذتها المريرة النكهة

من وقت لوقت

على يدي الحجريتين

عريها صارية من الصرخات الضعيفة"(13)

يعج هذا النص برموز تحاول أن تجمع بين الرغبة، واللذة ، والجسد ، فاللمسة تعبير جسد يختزل لغة تواصلية تنبع من رغبة شهوانية و جسدية تعمل بوصفها مجسة يمكن أن تروض سلطة الرجل وتقهره ، اذ إن كل شيء في هذا

النص هو رمز جسدي يتخذ أشكال متنوعة ، فمنها ما هو يرتبط بحلم المرأة بالرجل والبراءة التي يمكن أن يفقدها الجسد عندما يحلم (بأجنة مفقودة) وهي تعبير عن الجدية من هذه العلاقة الشهوانية التي يمكن أن تؤسس لهوية اجتماعية جديدة ترتبط بشرعية الزواج وانجاب الأطفال ، فالتهكم والسخرية من رغبة المرأة وحلمها بأجنة مفقودة هي بمثابة اعلان صريح عن رفض الذات الشاعرة المقهورة بلمسة الجسد في المرة الواحدة من أي تعاقد شرعي يمكن أن تبحث عنه المرأة وحتى في أحلامها المفقودة ، فالمرأة هي تمثل التعديم الدائم للوجود الأنسان ، فهي المكمل الوجودي للرجل ، فحلب الرجال جملة تحمل بعد رمزي قريب وبعيد ، فالقريب يرتبط بالجانب المادي والاقتصادي ، والبعيد ينطوي على رمزية العلاقة الجنسية والشهوانية التي تتأثث على أساس تضاريس حروب الحب والعشق الطويلة من حيث اللوعة ،والحزن، والفراق ، والتلاعب ، اذ إن المعادلة الطبيعية بين فعل الجماع من جانب الرجل وقوته التي عبرت عنها (على يدي الحجريتين) يمكن أن تمثل نوعا من الاحترام والتقدير المتبادل بين قوة جسد الرجل وضعف جسد المرأة ولذته وشهوانيته التي يقهرها الفعل الجنسي من حيث رمزية الصرخات الضعيف والتي في الأصل صرخة الشهوة واللذة .

ولا تبتعد قصيدة (**تجاسيد**) عن حضور رمزي يعبر عن الحرية والإرادة في قوله :

"تجاسيد

بداية النهار

الرغبة مملكة أنت أسد بين أسوارها

يستيقظ الآن مطالبا بحصته من لحم الفريسة" .[14]

يندرج هذا المقطع الشعري تحت بند الحكمة الشعرية التي تصور الرغبة بأنها اسد ، ولعل هذه العلاقة الرمزية بين رمزية الرغبة والأسد والذي يمثل دلالات تشي بالقوة وحرية الإرادة ، والسلطة ، والفحولة ، والزعامة ، فقانون الأسد في الغابة هو في إشباع رغبته من الطعام أو لحم الفريسة التي يلتهمها بشراسة وقوة ، والرغبة عند استيقاظها يمكن أن تتحول إلى رغبة متوحشة تبحث عن متعة ولذة الجسد ، فالرغبة تمثل الجانب الحيواني والشهواني من الأنسان .

وليس الأمر يرتبط بقوة الرغبة التي تتجاوز كل المنطق العقلي باحثة على اصل الأنسان الحيواني من حيث الحفاظ على الحياة والتي ارتبط في المقطع السابق بقوة الحياة التي وجدها الشاعر في الربط بين فريسة الأسد التي هي رغبة في إشباع جوعه ، وفريسة رغبة الجسد في إشباع لذته ومتعته .

ولا شك أن رمزية الجسد لا يمكن أن تنحصر في الرغبة إنما يمكن أن نجد رمزية الجسد لها حضور في متعة الاكتشاف والبحث عن معجزته ففي قصيدة (اكتشافات ومعجزات) يقول الشاعر :

"اكتشافات ومعجزات

اكتشفت اليوم أن الحظ في حكمته المرة

بغي تتلكأ في مدخل زقاق مسدود .

من كل شبر في جسده المعذب حلبت معجزة .

قطفت بالعناقيد حولا ضائعة

لمشاكل مستحيلة" .(15)

يتجلى في هذا النص مفارقة درامية بين المجرد والمحسوس ، فمبدأ تراسل الحواس التي ينقلب فيها المجرد إلى محسوس أو المحسوس إلى مجرد ، يمكن اكتشافها في تحويل فكرة أو كلمة الحظ إلى شيء محسوس يؤثث مع كلمة بغي عالما واسعا من الرموز والحقول الدلالية التي تدور في فلك العمل القبيح ، والضياع ، وعدم الوصول إلى النهاية ، فتصوير الحظ بأنه بغي هو تعبير عن اليأس وفقدان الأمل من الحياة ، لأن الحظ عندما يتحول إلى بغي هو في الحقيقة عملية إقرار بانتهاء الحلول وعدم الوصول إلى نهاية سعيدة أو حلول للمشاكل ،لأن مشاكل الشاعر تحتاج إلى معجزة لحلها .

ت ـ استعارية الجسد :

إن الطبيعة العامة لقانون الاستعارة في البلاغة العربية والغربية هو في استعارة شيء من شيء آخر ثم على أساس هذه الاستعارة تتم عمليات جمالية ، وبلاغية ، وإبلاغيه ، وتوضيحية وبيانية ، ولكن الاستعارة التي يمكن أن نجدها في بلاغة الجسد ، ولاسيما في شعر سركون بولص نابعة من عملية استعارة معان ودلالة لمفاهيم الجسد وحضورها في نصوصه الشعرية ، اذ يمكن القول أن الحضور الطاغي لمفردة اليد(*) في حالة المفردة والجمع في نصوص سركون بولص تحمل أبعادا مادية ومعنوية ترتبط بالقوة ، والعزية ، والأقدم ففي قصيدة (الف ليلة وليلة) يقول الشاعر :

"الف ليلة وليلة

كان ذلك

عندما أبصرت رمزي المفضل

يهبط كالنسناس من راحة يدي

ويدلني على أماكن مجهولة يتصاعد منها تنفس الأحياء

تبعته وعيناي معصوبتان

بريش معرفتي القليلة

ويداي مقيدتان بالحرية وأسنانها

تنغرز في رسغي والألم

يجعلني أتطوح كالسكير في أزقة غريبة أسرارها لم تنجح

في مواساتي"(16)

يقدم هذا النص بيان واضح عن قصة السجن النفسي و المادي التي عانت منها ذات الشاعر وسيرورته المستمرة من العذاب والضياع التي تحولت إلى قصة الف ليلة وليلة ، فالصورة الاستعارية للجسد ارتبطت بكلمة اليد والتي هي تعبير عن القيد وعدم الحرية ، فالرمز المفضل لدى الذات الشاعرة التي هبط كالنسناس هو في الحقيقة القيد الذي حول اليدين ، وما يمكن أن نتصوره من خلال هذا المقطع الشعري الذي يأثث مكان السجن ويعمل على تحويلة إلى مشهد مرئي من حيث الظلام وعدم القدرة على الأبصار وغيابه ؛ لأن الظلام هو الطاغي على المشهد ، ولكن محاولة خلق التوازن بين حالة غياب حاسة البصر بسبب الظلام ومحاولة الرؤية ، فإنه لابد أن يكون هناك بديل عن حاسة البصر حاسة اللمس والتي يمكن أن نلاحظها في اليد المقيدة والتي فقدة قدرتها على استشعار المكان والكشف عن تضاريسه بسبب القيد ، فحالة العتمة والظلام انعكست على حركت الجسد ومن داخله النفس الغير مستقرة والمتوازنة مسببة للجسد حالة من الترنح كالسكير معلنة ذهاب العقل والانتصار على الجسد المترنح .

وفي قصيدة أخرى نجده لا يكتفي باستعارة اليد إنما يحاول أن يجمع بين بلاغة اليد والوجه وما يمكن أن تقدمه من معاني تكشف عن حالة الضياع والمتاهة ففي قصيدة (رجل يعبر التاريخ) يقول الشاعر :

"قصيدة (رجل يعبر التاريخ)

او ملاحظات إلى صاحب الملكوت (فليم بلا نجوم)

اذا كان المجهول يشرق

كالوجه بين يديك

كل صباح ، كل ليلة

من انت

إلى أين تمضي

لامتلاك ماذا

كيف تحيا

ومن اجل من تموت

اذا كنت

انت

صاحب

الملكوت" ..[17]

الانطباع العام الذي يمكن أن يلتمسه المتلقي في هذه القصيدة هو العدمية والعبثية التي يمكن أن يجدها الأنسان في الحياة ، فالشك بكل شيء في الحية والموت والبعث والقيامة التي حاول أن يوضحها الشاعر عن طريق أقامت استعارة جسدية بين معاني الوجه واليد ، فالربط بين المجهول والوجه هو في الحقيقة استعارة عالم المجرد للمعاني المجهول

وتحويلها إلى عالم المحسوس والذي يحمل دلالة تدل على وضوح الشيء أمامك مع أن معاني الوجه تضاعف من دلالات المجهول في كون الوجه يعبر عن الشيء الواضح والمعروف في الأنسان . فحقيقة الأنسان يمكن أن نكتشفها في وجهه ، لذلك فإن المجهول مثّل حقيقة الوجه المكشوف و الحقيقة المكشوفة التي هي أمامنا و بين أيدينا ، فاستعمال حاسة البصر في كشف الحقيقة عن طريق استعارة كلمة الوجه ينصهر مع حاسة اللمس وحقيقته التي يمكن أن نجدها في اليد ، فالشك هو شيء ملمس يمكن أن نلاحظه في ثنائيات الحياة والموت ، والحقيقة والمجهول .

ث ـ دلالة الجسد:

لا بد من القول إن دلالة الجسد لا يمكن أن نقاربها ألا عن طريق البحث عن المدلول في علم الدلالة الذي تمت مقاربته في جوانب كثيرة منها جانب يدرس المدلول على أساس العلاقة التي يقيمها المدلول مع الأشياء التي يومئ اليها أو يعبر عنها (المفاهيم ـ العواطف ، معطيات العالم الخارجي) ، وجانب ثان يتمثل في العلاقة التي يقيمها المدلول مع غيره من المدلولات ، وجانب ثالث يتمثل في العلاقات التي تنشأ بين السمات الأساسية التي تتكون منها المدلولات[18] .

فالدلالة الجسدية تتمثل في العلاقة التي يقيمها مدلوله مع الأشياء التي يعبر عنها ففي قصيدة (قصيدة كل عشية) يقول الشاعر:

"آخر الينابيع يخنقه الرمل

الكل لا يذهب الى الواحد ، الصرخة تضيع

أنها شجرة الخوف تمشط أوراقها الى خلف

قبل أن تستقبل ذكريات الريح

والجسد أينما كان

يحمل ينابيعه كالسلالم إلى أية جبهة

سندانا وفيا يغفر آثام المطرقة "[19] .

إن البعد السريالي الذي يمكن أن نكتشفه في المدلولات الكثيرة التي تعبر عن مفاهيم تختزل حكمة عميقة ترتبط بالحياة ونهايتها ومستقبل كل شيء هو النهاية ، فالينابيع ، والصرخة ، والشجرة الخائفة كلها دلالات تعبر عن الضياع ونهاية الحياة وحالة من التشيء والاستلاب والتي تتعاضد لكي تقدم لنا دلالة الجسد بوصفه ايقونة تعبر عن الأمل والإرادة لكونها تختزل في داخلها ينابع الحياة واكسيرها(الاكسير مصطلح خميائي يدل على التغيير والتبديل) الذي لا ينتهي .

ولا يبتعد مدلول الجسد عن أكسير الحياة عن المدلول الذي يمكن أن يسجله الجسد بوصفه صورة لحياة قاسية ففي قصيدة (هناك) يقول الشاعر :

"وجدت نفسي في هذا البيت

تديره امرأة تختفي طيلة الأسبوع

هائمة على وجهها بين الأنهار . حين تعود ،

تربط قاربها الى رجلي وانا نائم

وبصمت ثقيل

تجر جسدها المخدش بالمخالب الى سريري .

في الأزقة حيوانات اطلقوا سراحها

أخذت تزداد جرأة مؤخرا

وتهاجم المرضى والأطفال"[20]

إن المفارقة التي يمكن أن تتجلى في هذا النص هو المقابلة بين المرأة ، ومخالب القطة أو أي حيوان مفترس ، فالصورة العامة لهذه القصيدة تعبر عن حياة نساء الليل والحرية الجنسية والدعارة التي تعبر عنها بكل وحشية وجرأة ، ولكن ما يهمنا في الأساس هي الدلالة التي تنطوي عليها جملة (تجر جسدها المخدش بالمخالب الى سريري) الذي يحمل دلالات كثيرة منها السادية التي حولت جسد المرأة الناعم الى تضاريس مخدوشة ، فالخدش هو بيان يكشف عن ما كانت تقوم به المرأة في الليل من انتهاك لجسدها من قبل الفحولة التي تبحث عن لذة الجسد المجروح والمخدوش ، فهو تعبير عن الحياة المنحطة والقذرة التي تعيش فيها المرأة ولاسيما في المجتمع الغربي من حرية زائفة أو من أعمال غير أخلاقية تحمل بصمة الجسد الشهواني ، فالإدانة في هذا المقطع ضد عملية استهلاك الجسد وتسليعه تجاريا.

ومما تقدم في هذا البحث فإن تشكيلات الجسد بكل صورها المجازية ، والاستعارية ، والرمزية ، والدلالية في المتن الشعري للشاعر العراقي سركون بولص عبرت عن مفاهيم ودلالات اجتماعية وثقافية وسياسية انطلقت من الجسد وعلاقاته بعالم الأشياء الخارجية ، أو الآخر ، وما يمكن أن تنطوي عليه هذه العلاقة من أبعاد وجودية تقوم على أساس مادي للحياة عمل على ممارسة نوع من التعديم و سلب الذات عن طريق محاولة ضبط عمل الجسد في محيطه الخارجي . فالرموز والدلالات التي انفتح عليها الجسد في شعر سركون بولص تبلور حول الأفعال الايروسية والتي عبرت عن الحرية ، والحياة ، والوجود ، وكذلك كان لعملية ترويض الجسد وتقيده دورا كبيرا في الإشارة إلى حالة اليأس ، والضياع ، والموت ، والاستسلام ، فضلا عن أن قوة الجسد يمكن أن تودي إلى الدلالات على العزيمة ، والوجود ، والقدرة ، والإرادة التي تحاول أن تتغلب على القيود المعنوية والمادية التي يفرضها المجتمع والثقافة السائدة التي تراقب حركت الجسد وتضاريسه بيقين الروح .

المصادر والمراجع

- أساطير إغريقية ، عبد المعطي الشعراوي ، الهيئة المصرية العامة للكتابة ، 1982 ، القاهرة .
- الأعمال الشعرية ، سركون بولص ، المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية ، ط1 ، 2011 ، عنكاوا ، أربيل .

- أنثروبولوجيا الجسد والحداثة ، دافيد لو بروتروتون ، ترجمة محمد عرب صاصيلا ، ط2 ، 1997 ، بيروت .
- أيديولوجيا الجسد ، رموزية الطهارة والنجاسة ، فؤاد اسحق الخوري ، دار الساقي ، ط1 ، 1997 ، بيروت .
- تاريخ الجنسانية ، الانشغال بالذات ، ميشال فوكو ، ترجمة محمد هشام ، أفريقيا الشرق ، 2004 ، المغرب .
- الجسد والنظرية الاجتماعية ، كرس شلنج ، ترجمة منى البحر ، نجيب الحصادي ، دار العين للنشر ، ط1 ، 2009 ، ابو ظبي ، الأمارات .
- الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور ، جورج كونتيو ، ترجمة سليم طه التكريتي ، برهان عبد التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط3 ، 1986 ، العراق .
- سركون بولص ، عنقاء الشعر العراقي الحديث ما قيل وكتب عنه ،أعداد وتقديم هيثم بهنام بردى ، وزارة الثقافة والشباب، ط1 ، 2011 ، إقليم كوردستان العراق .
- العراق القديم ، دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية ، جماعة من علماء الاتحاد السوفيتي ، ترجمة طه التكريتي ، دار الشؤون الثقافية ، ط2 ، 1986 ، العراق .
- فكرة الجسد من الموروث الحضاري الى فلسفة نيتشه ، هجران عبدالاله احمد الصالحي ، دار الفرقد ، ط1 ، 2014 ، دمشق .
- الفلسفة اليونانية ، رشال فرنر ، ترجمة تيسير شيخ الأرض ، دار الأنوار ، ط1 ، 1968 ، بيروت .
- قصة الفلسفة اليونانية ، احمد أمين ، زكي نجيب محمود ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط2 ، 1935 ، القاهرة .
- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري(711) ، صححه وروجع بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المختصين ،دار الحديث،ط1 ، 2003 ، القاهرة.
- المثل العقلانية الأفلاطونية ، عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، دار القلم ، الكويت ، بيروت .
- مختار الصحاح ، محمد بن أبي زكريا عبد القادر الرازي ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1979 ، بيروت .

❖ المناهج الحديث والنص الأدبي ، القبعة والساحر ، د. محمود خليف خضير ، مخطوط جاهز للنشر ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن .

❖ منطق أرسطو ، أرسطو ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، دار العلم ، ط1 ، 1980 ، الكويت ، بيروت .

❖ اليونان والرومان ، دراسة في التاريخ والحضارة ، عادل نجم عبو ، عبد المنعم رشاد محمد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، 1993 ، الموصل .

[1] . لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق نخبة من الأساتذة المختصين : مج2 ، 2 / 128 .

[2] . مختار الصحاح ، الرازي ، 103 .

[3] . ينظر فكرة الجسد من الموروث الحضاري إلى فلسفة نيتشه : 19 ـ 27 .

[4] ـ ينظر المصدر نفسه : 27ـ 34 .

[5] . ينظر فكرة الجسد من الموروث الحضاري إلى فلسفة نيتشه : 35 ـ 56 .

[6] . ينظر العراق القديم ، تأليف جماعة من علماء الآثار السوفيات ، ترجمة سليم طه التكريتي : 23 ـ 109 ، والحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، جورج كونتينو ، ترجمة سليم طه التكريتي ، وبرهان عبد التكريتي : 64 ـ 256 ، واليونان والرومان دارسة في التاريخ والحضارة ، عادل نجم عبو ، وعبد المنعم رشاد محمد : 45 ـ 364 ، و أساطير إغريقية ، عبد المعطي الشعراوي : 83 ـ 94 .

[7] . ينظر الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، عزت قرني : 24 ـ 25 ، و قصة الفلسفة اليونانية ، احمد أمين ، زكي نجيب محمود : 41 ـ 59 ، و الفلسفة اليونانية ، شارل فرنر ، ترجمة تيسير شيخ الأرض ، 92 ـ 127 ، والمثل العقلية الأفلاطونية ، عبد الرحمن بدوي : 44 ـ 82 .

[8] . ينظر منطق أرسطو ، أرسطو ، تحقيق عبد الرحمن بدوي : 2 / 329 ـ 337 ، وأرسطو المعلم الأول ، محمد زكي حسن : 47 ـ 165 .

[9] ـ ينظر إيديولوجيا الجسد ، رمزية الطهارة والنجاسة ، فؤاد اسحق الخوري : 23 ـ 65 ، وتاريخ الجنسانية ، الانشغال بالذات ، ميشال فوكو ، ترجمة محمد هشام : 39 ـ 83 .

[10] ـ ينظر أنثروبولوجيا الجسد والحداثة ، دافيد لويروتون ، ترجمة محمد عرب صاصيلا : 11 ـ 195 ، والجسد والنظرية الاجتماعية ، كرس شليخ ، ترجمة منى البحر ، نجيب الحصادي : 169 ـ 199 .

(*). ولد سركون بولص عام 1944 في العراق في منطقة الحبانية ، ثم انتقل إلى كركوك في العام 1956 ، وشكل هناك مع فاضل العزاوي ، ومؤيد الراوي ، وجان دمو ، وصلاح فائق (جماعة كركوك) . وفي عام 1969 غادر إلى سان فرانسيسكو مرورا ببغداد ثم بيروت ، تعرف هناك على اشهر الأدباء الأمريكيين الذين يمثلون جيل البيتنكس أمثال الن غينسبرغ ، كرواك ، غريغوري كورسو ، بوب كوفمن ، فيرلينغيتي ، غاري سنايدر وغيرهم ، ولقد امضى السنوات الأخيرة متنقلا بين أوروبا وأميركا .حتى وفاته في برلين 2007 . فقد اسهم برفد المكتبة العربية بكتب مؤلفة ومترجمة ، اذ اصدر سركون بولص ديوانه الأول (الوصول إلى مدينة أين) 1985 ، ثم أعقبه بمجاميعه الشعرية الأخرى (الحياة قرب الاكروبول) 1988 ، و (الأول والتالي) 1992 ، و(حامل الفانوس في ليل الذئاب) 1996 ، و(اذا كنت نائما في مركب نوح) 1998 . وصدرت له مختارات شعرية مترجمة بعنوان (رقائم لروح الكون) وسيرة ذاتية بعنوان (شهود على الضفاف) ، و مختارات قصصية نشرت بالعربية والألمانية بعنوان (غرفة مهجورة) ، ينظر سركون بولص عنقاء الشعر العراقي الحديث ما قيل وكتب عنه ، أعداد وتقديم بهنام بردى : 23 ـ 25 .

[11]. الأعمال الشعرية ، سركون بولص : 1 / 7 .

[12]. ـ الأعمال الشعرية : 69 .

[13]. الأعمال الشعرية : 1 / 51 .

[14]. المصدر نفسه : 1 / 273 .

[15]. الأعمال الشعرية : 2 / 140 .

*( ). تشي البلاغة الجسدية التي تمركزت في نصوص سركون بولص الشعرية حول استعارة كلمة اليد التي حملت معاني كثيرة ومختلفة ارتبطت بالهجران ، والقوة ، والضعف ، والإرادة ، واليقظة ، والاستسلام ، والضياع ، والجنس ، والايروسية ، والقيد ، والسجن ، الخيال ، والحلم ، والعزيمة ، والأقدام ..الخ ، ينظر الأعمال الشعرية ، قصائد الضيف البعيد : 1 / 13 ، ولن انتظر اكثر : 1 / 16 ، في تلك الأيام : 1 / 19 ، النجار : 1/ 31 ، الأم بودلير وصلت :1 / 33 ، الجريح :1/ 45 ، اطعن هذه المتاهة : 1 / 59 .

[16]. الأعمال الشعرية : 1/ 9 .

[17]. الأعمال الشعرية : 2 / 91 .

[18]. ينظر المناهج النقدية والنص الادبي ، القبعة والساحر ، د. محمود خليف خضير ، ، عالم الكتاب الحديث ، الأردن : 120.

[19]. الأعمال الشعرية : 1/ 39 .

[20]. الأعمال الشعرية : 1 / 92 .